Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الجوانب الثلاثة لها دلالة رمزية ترتبط بتجربة الإنسان في بحثه عن الحقيقة ، والوسائل التي يستخدمها في هذا البحث ، وفي الحوار الذي يدور بين الشخصيات الثلاثة داخل الكهف في بداية الفصل الأول ، يضع توفيق الحكيم المنطلق الأساسي لهذه التجربة ، حين يعرض علينا كيف دخل الإيمان قلب ذلك الراعي البسيط « يمليخا » لم يكن إيمانه عن طريق الاقتناع العقلي وإنما عن طريق لحظة الانكشاف ، والتنوير التي لا تخضع لأي تحليل أو تعليل :

يمليخا : نعم . ولكن الإيمان الحقيقي إيمان اليقين والاقتناع لم يضىء نفسي إلا يوم سمعت ذلك الراهب يتكلم تحت أسوار طرسوس .

ميشلينيا : أي راهب ؟

يمليخا : كان ذلك منذ خمسة أعوام إذ بلغت الثلاثين ، وما كنت بعد أفكر في غير غنمي . وكنت أدين بالمسيحية اسما بحكم الوراثة وحدها لا عن شعور واقتناع ، حتى كان يوم ذهبت إلى مدينة طرسوس في بعض شأني ، فلمحت خارج أسوارها راهبا يتكلم في جمع صغير تخفيه عن الأعين خرائب قديمة وأحجار فاقتربت وطفقت أصغي ، وإذا بي كأني انقلبت إنسانا آخر ، وكأن عيني تريان ما كانتا عنه غافلتين . .

ميشلينيا : ماذا كان يقول ذلك الراهب ؟

يمليخا : لست أذكر شيئا مما قال . لكني لن أنسى ما شعرت به إذ ذاك إحساس لم يعتريني في حياتي من قبل إلا مرة ، إذ كنت اهبط الجبل ساعة غروب فاشرفت على منظر في الخلاء لم أر أجمل منه فلبثت ليلتي أفكر واستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ؟ أفي الطفولة؟ أفي الأحلام ؟ أم قبل أن أولد ؟ إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولا عندي . وقمت في الفجر فذكرت صورة البارحة وفجأة برقت في رأسي